الشعب الفلسطيني وقواه السياسية الذي بلغه في السنوات التالية. فقبل ذلك التاريخ، ظل الفكر الماركسي محصوراً ببعض القوى التي شكّلت امتداداً لعصبة التحرر الوطني، مثل الحزب الشيوعي الاردني، والحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح)، والحزب الشيوعي في قطاع غزة. ولقد كان الشيوعيون الغزّيون الوحيدين من شظايا العصبة الذين حافظوا على هوية حزبهم الفلسطيني، لكنهم لم يكونوا بالوزن، أو النفوذ، اللذين يمكّناه من نشر الفكر الماركسي، فضلاً عن ان امكانياتهم ومؤهلاتهم الفكرية، على صعيد الماركسية، كانت شديدة التواضع[١].

واذا كانت أشكال القمع البوليسي التي تعرّض لها الشيوعيون الفلسطينيون تعتبر سبباً هاماً من الاسباب التي حالت دون اتّساع وانتشار الفكر الماركسي، وبالتالي تزايد عدد المناصرين له والمتحزّبين على أساسه، فان ثمّة سبباً آخر كان بالغ الاهمية في هذا الشأن، وهو تبنّي الشيوعيين الفلسطينيين لعدد من المواقف الخاطئة التي أدّت الى عزلتهم جماهيرياً. ومن بين هذه المواقف الموقف من قرار التقسيم، وقرار الشيوعيين الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية وشرق الاردن (وهم القسم الرئيس من الشيوعيين الفلسطينيين) التخلّي عن هويتهم الفلسطينية لصالح تأسيس الحزب الشيوعي الاردني، وهو القرار الذي جاء في أعقاب ضمّ الضفة الفلسطينية الى الاردن. وقد سوّغ الشيوعيون الفلسطينيون خطوتهم بالقول انه «بعد ان أصبح الالحاق أمراً واقعاً، وأخذت الضرورات الاقتصادية والحياتية تفرض نفسها على مجموع الفلسطينيين المقيمين في المملكة الاردنية، بات الفلسطينيون مضطرين الى الاندماج بالبنية السياسية القائمة، ولم يعد بامكان عصبة التحرر الوطني البقاء بمعزل عن النضالات اليومية للجماهير، ولا عن الواقع الجديد الناشىء، الذي لم يكن بمقدروها تغييره آنذاك»[٢].

باختصار، لقد كيّف الشيوعيون الفلسطينيون أنفسهم مع النتائج التي نجمت عن نجاح المشروع الصهيوني في اقامة دولته اسرائيل، وما تبعه من ضمّ الضفة الفلسطينية الى الاردن. وقد نصّ البرنامج التأسيسي الاول للحزب الشيوعي الاردني على «النضال في سبيل تنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩، وفي سبيل عودة المشرّدين الى ديارهم، ومن أجل عقد صلح ديمقراطي مع اسرائيل على أساس هذا القرار؛ صلح يكون في مصلحة السلم العالمي، وفي مصلحة الحرية والديمقراطية لدولتي الاردن واسرائيل»[٣]. وهكذا لم يشر البرنامج السياسي الى اقامة دولة فلسطينية، واعتبر ان «الصلح» يخص الاردن واسرائيل.

لقد أدّت هذه السياسات ليس فقط الى عزلة الشيوعيين الفلسطينيين، بل والى تخلّفهم عن مواكبة انبعاث الحركة الوطنية الفلسطينية التي أخذت تحفر مجراها المستقل منذ أواخر الخمسينات، وظهرت على نحو بارز في أعقاب هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

أحدثت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هزّة عميقة في الفكر القومي الذي سيطر، سيطرة شبه تامّة، على قطاعات واسعة من أبناء الشعب الفلسطيني ممّن تأطروا في اطار الاحزاب والحركات القومية العربية، وخاصة حركة القوميين العرب. وكانت الهزيمة نقطة الانطلاق باتجاه تبنّي أعداد كبيرة ممّن ينتمون الى حركة القوميين العرب لفكر الطبقة العاملة، بديلاً من الفكر القومي. فقد كانت حركة القوميين العرب «أول حزب قومي يعترف، في أعقاب تلك الحرب، حزيران /يونيو ١٩٦٧، بأن ايديولوجيته وبرنامجه السياسي قد هزما، وأصبحا بلا فائدة. وانقلب القوميون العرب على ايديولوجيتهم، باعتبارها عقيدة مسؤولة جزئياً عن الهزيمة. لقد تخلّوا عن كافة فرضيات